المصـــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 07-08-2005
الصفحـات : 10
العـــدد : 4318
المسلسل : 54

من أمريكا إلى اليابان.. ليس بعد هذا برهان!

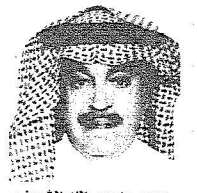

محمد بن عبد الله الشريف
كاتب في الشأن العام

إن مواقف دول متقدمة مثل فرنسا والسويد وغيرهما، لا تطمع في مساعدات أو مقابل من المملكة. هي المواقف التي يجب أن تثمن وتكون موضع التقدير والاعتزاز. ويعول عليها في اختبار مكانة المملكة وسمعتها دوليا.

لم تكن سمعة المملكة الخارجية، ومكانتها بين الدول، موضع شك في يوم من الأيام. غير أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشريرة والسهيرة ألقت بظلالها الكثيفة على كثير من الأوضاع. وأوقعت الكثير من وسائل الإعلام في مأزق الحيرة والتخبط والاجتهاد في توجيه الاتهامات. ليس للدول فحسب. بل للكثير من الهيئات والجمعيات والكيانات والطوائف. وحتى الأديان.

وقد تعرضت المملكة من جراء ذلك إلى كثير من الافتراءات والإيذاء والأكاذيب. رغم ما أثبته الواقع من أنها أكثر من تعرض للإرهاب. ونال من شروره، وأن خسائرها بسببه تفوق الخسائر التي تعرضت لها أي دولة عانت منه، وأن ما بذلته وتبذله المملكة في سبيل مواجهته. ومكافحته. وملاحقة فلوله. يفوق ما تعرضت له ووفرته أي دولة أخرى تعرضت للإرهاب.

ولكن، وكما يقال، رب ضارة نافعة. فرحيل الملك فهد - يرحمه الله - رغم فداحة الخسارة بفقده. قد كشف بجلاء عن حقيقة مكانة المملكة، التي تعرضت لمحاولات الطمس والتشويه، والتي كان البعض يظن أنها ربما تأثرت بما جرى من أحداث. وإذ بها تبرز وهي أقوى مما كانت، وأكبر من أن تنال منها الادعاءات والآراء غير المنصفة. بل إن الكثير من وسائل الإعلام وقف مشدوها أمام تلك التظاهرة الحاشدة التي لم ينع إليها أحد، والتي تداعى من خلالها الزعماء والملوك والرؤساء والوفود في القدوم إلى المملكة لتقديم العزاء والمواساة، بداعي المحبة والتقدير، بعيدا عن المجاملة والنفاق!

وإذا سلمنا بأن حضور الزعماء العرب والمسلمين ربما تقتضيه دواع عدة، مثل الجوار والدين والقومية. فما الذي يدفع زعماء كبار غيرهم إلى الحضور، وهم قلما يغادرون أوطانهم لمناسبة مثل هذه؟ ما الذي يدفع زعيما مثل الرئيس الفرنسي للمبادرة ومغادرة مكتبه في نهاية دوام يوم حافل بالعمل في بداية الأسبوع هو يوم الإثنين، لكي يستقل الطائرة متوجها مباشرة إلى المملكة. ويقدم ما قدم من مشاعر المواساة والعزاء، ثم يعود في اليوم نفسه إلى بلده مباشرة. محلقا في الجو لأكثر من 12 ساعة دون راحة؟ أقول ما الذي يدفعه إلى ذلك لو لا تقديره البالغ للمملكة ومكانتها وقيادتها. ودورها على الساحة الدولية. وما قام به الرئيس الفرنسي هو امتداد لما قام به إبان زيارة الملك عبد الله (الأمير عبد الله آنذاك) إلى فرنسا قبل بضعة أشهر. حينما تجاوز كل الضوابط البروتوكولية وخرج بنفسه مستقبلا ومودعا؟!

وما الذي يدفع زعيما مثل ملك السويد للمبادرة بالقدوم بنفسه للإعراب عن مشاعر الأسى والمواساة والعزاء. لو لا التقدير الذي يكنه هو وبلده للمملكة وقادتها. رغم البعد الجغرافي الذي يفصل بين البلدين؟

غير أن ما تتمتع به المملكة من مكانة عظيمة في نفوس السويديين وجيرانهم في الدول الاسكندنافية قد لمسناه من قبل. إبان زيارة لوفد من مجلس الشورى قبل أكثر من سنة. ضمني وبعض الزملاء. ولمسنا من خلالها التقدير من كل من قابلناهم وفي مقدمتهم البرلمانيون. ورئيس البرلمان نفسه. الذي حوّل زيارتنا له في مكتبه. التي كنا نقصد بها المجاملة. إلى اجتماع عمل استمر أكثر من ساعتين! كشفنا من خلاله تقديره للدور الذي تقوم به المملكة على الساحة الدولية.

إن مواقف دول متقدمة مثل فرنسا والسويد وغيرهما. لا تطمع في مساعدات أو مقابل من المملكة. هي المواقف التي يجب أن تثمن وتكون موضع التقدير والاعتزاز. ويعول عليها في اختبار مكانة المملكة وسمعتها دوليا.

إن ما صاحب العزاء في وفاة الملك فهد. من أسلوب انتقال السلطة. ومراسم العزاء فيه. وهبة الكل لمبايعة خلفائه. ينبغي أن يستقرأ بتمعن ورؤية هادئة. لإدراك حقيقة المعاني العميقة التي يمكن أخذها والمحافظة عليها وتعزيزها. فهي من أثمن ما نملكه ونعتز بالانفراد به. ومن تلك المعاني:

1- أسلوب انتقال السلطة، الذي تم في غاية السلاسة والمرونة. ولم يأخذ من الوقت شيئا بحساب الأحداث. وكان مضرب المثل في رسوخ وثبات أسس ودعائم الحكم. ووضوح المنهج والرؤية. ولم يترك مجالا للتشكيك والتأويل والتخرصات. وكان لذلك انعكاسه الإيجابي على الأوضاع الداخلية كلها. وفي مقدمتها الوضع الاقتصادي الذي أضحى يقود. بازدهاره واستقراره. بقية الأوضاع من حولنا. ولو حصل - لا سمح الله - أي تأخر أو ارتباك لا نعكس ذلك بشكل خطير على الأوضاع الاقتصادية. ليس في المملكة فحسب. بل في المنطقة. وفي كافة أنحاء العالم. كيف لا. والمملكة في مركز القيادة والسيطرة والتحكم. بالنسبة لأهم سلعة استراتيجية. وهي النفط.

2- مراسم التشييع. ونقل الجثمان ودفنه. التي اتسمت بالبساطة والتلقائية. على المنهج الإسلامي. بدون تكلف أو مظاهر احتفالية. فلم يكن هناك عربات خاصة تجرها الخيول. ولا صناديق مجوهرة. ولا جنود ولا مواكب. بل عربة إسعاف يحمل منها النعش على رقاب وأكتاف أقرب الناس إليه. إلى المسجد. ثم إلى القبر! وأما القبر فهو حفرة معدة على الطريقة الإسلامية الصحيحة بجوار غيره من القبور لا يميزه عنها شيء.

إنني متأكد أن ما جرى قد تضمن رسائل ومعاني عدة عن سماحة الإسلام،

المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 07-08-2005 العـــدد : 4318
الصفحـات : 10 المسلسل : 54

وبساطته، ومساواته بين الناس، كيف لا وقد رأينا صحافة العالم ووسائل إعلامه تنشر ذلك وتعجب به.

3- أما البيعة فيحسن التأمل في معانيها حتى ندرك أهميتها وعمق مدلولاتها، فقد أتت أولا من الأسرة الحاكمة، وارثة الحكم من المؤسس، ثم من أهل الحل والعقد من العلماء، وأصحاب الرأي والمشورة، ثم من عامة الناس، وهذا هو التسلسل المنطقي للقدوة والاقتداء في تداول وعقد البيعة، وكأني ببعض من شاهد هذا السلوك الحضاري من وسائل الإعلام الدولية يقف باحترام أمام ما شاهد من مرونة وتجاوب، ويسر في الإجراءات.

4- أتي إلى واحد من أهم المكتسبات التي حققناها، وهو الناحية الإعلامية فلقد ساهم الإعلام الذي يقوده مواطن صالح مخلص، كما نعرف فيه، وهو وزير الإعلام، في نقل صورة حية مؤثرة، بالغة التعبير، إلى كل أصقاع الدنيا، حتى أن كثيرا من محطات العالم ربطت بثها مباشرة بمحطات المملكة، ونجح العاملون في الإعلام، وبخاصة محطات التلفزة، في تقديم تغطية متكاملة أوصلتنا من خلالها رسائل معنوية بالغة الأثر للعالم كله، لا يمكن تقديرها بأي قيمة مادية، حول ما يجري في المملكة، مما يبعث على التفاؤل بمستقبل أكثر إشراقا واستقرارا.

والله من وراء القصد